

فكرة الإسلاموية عند أوليفيه روا (Olivier Roy) (مقاربة مفاهيمية)

The idea of Islamism by Olivier Roy (Conceptual approach)

قلاتي البشير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

bachirislam65@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/16 تاريخ القبول: 2024/05/17 تاريخ النشر: 2024/09/30

ملخص:

شكّل الاهتمام بدراسة الإسلام والحركات الإسلامية، ظاهرة ثقافية في الغرب المعاصر، ومع المتغيرات الاجتماعية والسياسية العالمية بعد مرحلة ما بعد الاستعمار وبرز ما يسمى بظاهرة الإسلام السياسي التي أزعجت الغرب؛ ظهرت دراسات وبحوث أكاديمية، تخصص فيها بعض المفكرين بدافع معرفي، سياسي وأمني.

يبرز اسم المفكر الفرنسي (أوليفيه روا- OLIVIER ROY) كأحد أهم المتخصصين الأكاديميين في دراسة الظاهرة الإسلامية، التي تحمل بناء معرفيا مؤثرا في الأوساط الغربية والعربية، بما تحمله من مفاهيم تحاول أن تتأقلم مع المنظومة الثقافية في الوسط الثقافي الإسلامي نفسه، ومن هذه المفاهيم التي تركز عليها دراسات هذا المفكر مفهوم (الإسلاموية- L'islamisme) كفكرة-، الذي وجد صداه في نطاق الاستخدام والتوظيف المعباري في العالم الغربي والعربي؛ حيث ارتبط هذا المفهوم - عضويا- بمفهوم العلمانية بصيغتها الفرنسية، وهو ما يقتضي تحليله وتحديد أبعاده، وكشف جوانب التحيز في توظيفه، باعتبار المفاهيم من أهم أدوات الصراع الفكري في هذا العصر.

الكلمات المفتاحية: الإسلاموية، العلمانية، اللائكية، أوليفيه روا.

Abstract

The interest in the study of Islam and Islamic movements was a cultural phenomenon in the contemporary west, and with the global social and political changes after the post-colonial period and the emergence of the so-called phenomenon of political Islam that disturbed the West, academic studies and research, in which some intellectuals specialized out of knowledge, political and security.

The name of the French thinker Olivier ROY is highlighted as one of the most important academic specialists in the study of the phenomenon, which carries an influential knowledge building in Western and Arab circles, with its concepts that try to reduce with the cultural system in the Islamic cultural community itself, and these concepts focused on the studies of this thinker, the concept of "Islamisme" - as an idea - which has found resonance in the scope of use and standard employment in the Western and Arab world. This concept is organically linked to the concept of secularism in its French form, which requires its analysis and its dimensions, and the detection of biases in its employment, considering the concepts as one of the most important tools of intellectual conflict at this age.

Keywords: Islamism, Secularism, Laïcité, Olivier Roy.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

تهتمّ الأوساط الفكرية الغربية بدراسة الظواهر الاجتماعية، السياسية والدينية في العالم الإسلامي، وهذا لاعتبارات تاريخية واستعمارية ومعرفية، والتي يمكن اعتبارها حلقة من حلقات النشاط الاستشراقي الغربي المعاصر.

ولعلّ من أبرز المفكرين الذين اشتهروا بدراسة ما يسمى (الإسلام السياسي)، المفكر الفرنسي أوليفييه روا (OLIVIER ROY)*، الذي اهتم وتخصّص في دراسة وتحليل إيديولوجيات الحركات الإسلامية مع التركيز على أبعادها السياسية، في إطار مشروع يسميه (علم الإسلام - Islamologie) الذي يقوم على دراسة الفكر الديني الفلسفي الاسلامي، بدأت ملامح هذا المشروع بداية ثمانينات القرن العشرين بدراسة وتحليل مبادئ وقيم وتوجهات الحركات الإسلامية.¹ ومما طرحه هذا المفكر في تحاليله للظاهرة الإسلامية، التي يرى أنها تشكل عاملاً مهماً ومؤثراً على المجتمع الغربي نفسه، ظاهرة (الإسلاموية) وعلاقتها بالعلمانية، وهو مفهوم جديد يبرز جانباً من الصراع الفكري، الذي بدأ يمتدّ، كمفهوم، في الاستخدام والتوظيف الفكري والسياسي بما يخدم أهدافاً إيديولوجية مشبوهة.

نحاول في هذا المقال طرح إشكالية مفهوم الإسلاموية عند أوليفييه روا، وعلاقته بمفهوم الإسلامية، والعلمانية، وتحليل أبعاد هذا المفهوم ودوره في تشكيل صورة الإسلام في التصور الغربي.

* أوليفييه روا، (OLIVIER ROY): مفكر وعالم فرنسي متخصص في الحركات الإسلامية ولد عام 1949م، كان بروتستانتياً متمرداً في شبابه ثم تحول إلى الماركسية (عام 1968م) تأثراً بأستاذه (فرانسوا شاتيليه)، و كان له دور في ترجمة كتب الزعيم الصيني الشيوعي (ماوتسي تونغ) إلى اللغة الفارسية بعد دراسته للغة الصينية وتقديمه برسالة علمية حول: "لا لينت والصين" (عام 1972)، أستاذ جامعي في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا، إيطاليا. شغل منصب مدير أبحاث في مؤسسات بحثية أوروبية عديدة. حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1972م، وتخرج من المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية (باللغة الفارسية)، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية في عام 1996، ومؤهل للإشراف على الرسائل العلمية في عام 2001. وهو مستشار في مركز التحليل والتنبؤ بوزارة الخارجية منذ عام 1984م. كان أوليفيه روا، ممثلاً خاصاً لرئاسة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا في طاجيكستان (من يوليو إلى نوفمبر 1993) ثم رئيس بعثة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا في طاجيكستان (فبراير - نوفمبر 1994). قام بالتدريس في معهد الدراسات السياسية في باريس عام 2009، ومنذ عام 2009، قام بإدارة برنامج البحر المتوسط في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا، مؤلف العديد من الكتب حول هذا الإسلام السياسي، أشهرها كتاب: تجربة الإسلام السياسي (1992)، كتاب الجبل المقدس، كتاب الإسلام والعلمانية، كتاب نحو إسلام أوروبي....

¹ أوليفييه روا، نحو إسلام أوروبي، تعريب خليل أحمد خليل، ط1، بيروت: دار المعارف الحكمية، ط1، 2010م، ص 15.

أهمية المفاهيم في دائرة الصراع الفكري:

تبرز أهمية المفاهيم، في عالم الصراع الفكري، في صناعة الوعي الفكري وتكوين البنى الثقافية، حيث صياغة المفاهيم قد تحمل أبعادا حضارية هامة، تعرضها، أحيانا، لتوجهات أطراف تعتمد معايير غير موضوعية لتحقيق أهدافا معينة، قد لا تكون موضوعية، في إطار ما يسميه مالك بن نبي، صراع الأفكار في البلاد المستعمرة، ولعلّ دراسات المفكر الفرنسي (أوليفيه روا) حول الإسلاموية - كمفهوم - يحمل أبعادا ثقافية في مجال هذا الصراع تقتضي من الباحث استقصاء أبعاد مثل هذه المفاهيم التي يروج لها باحثون غربيون لأهداف يمكن كشفها من خلال التحليل والبحث. وليس من المناسب علينا أن نتجاوز مثل هذه المفاهيم التي قد تشكل عنصرا فاعلا في ساحة صراع الأفكار والتي قد تؤثر في الوعي الجديد خاصة في أوساط الشباب، الذي ما فتئ يتعرض لضغط فكري كبير قصد صناعة وعيه وتوجيهه.

تتعلق هذه الدراسة بتحليل هذا المفكر الفرنسي للظاهرة الإسلامية، وهو المعروف في الأوساط الأكاديمية الفرنسية والغربية وحتى العربية كمرجع في الدراسات المتعلقة بالأيديولوجية الحركات الإسلامية ومرجعياتها؛ فالرجل يُدعى لإلقاء محاضرات في كبريات الجامعات والمؤتمرات، باعتباره أحد أهم المتخصصين في ما يسمى ب (حركات الإسلام السياسي)، وهي دراسات تهتم برصدها مؤسسات وأجهزة أساسية في الدولة، قد تُبنى على أساسها قرارات سياسية مؤثرة.

يبدو هذا الرجل - من خلال كتاباته - أكثر اطلاعا على أحداث ووقائع ما يتعلق بالحركات الإسلامية؛ حيث أجده يتتبع تطور المجتمعات الإسلامية التي تعرف موجات حركات (الإسلاموية) - كما يسميها - في النموذج المصري، من حيث التعليم، ارتفاع عدد السكان، وعدد خريجي الجامعات، ومدى تدهور الحالة الاجتماعية وانعكاسات ذلك، من ذلك ما يتقاضاه الطبيب في مصر الذي تحوّل، كما يقول، إلى بروليتاري كادح، فيما يورد إحصاءات عن عدد الأفراد الذين يقطنون غرفة واحدة في الجزائر، وآثاره الاجتماعية... في عملية رصد تثير الانتباه.¹

¹ أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروّة، ط2، بيروت: دار الساقي، 1996م، ص ص 53، 54، 58، 59.

أهداف الدّراسة:

الهدف من هذه الدراسة تحليل مفهوم (الإسلاموية) ومقاربة خلفياته وأبعاده وعلاقته بمفهوم العلمانية، والفرق بينه وبين مفهوم (الإسلامية)، في إطار ترشيد الفكر الحركي الإسلامي لخطورة مثل هذه المصطلحات التي قد تلتبس ببعض المفاهيم، في إطار الصراع الفكري، فتتسرب إلى المنظومة الثقافية الإسلامية وتتعوّض فيها وتكون ذريعة لاتهام الإسلام نفسه بظواهر مسيئة تحاول إلصاقها به، كظاهرة العنف والإرهاب وغيرها، وتعمل على كشف جوانب التوظيف السياسي للمصطلحات وتؤكد ظاهرة التحيز الفكري في إطار ظاهرة الصراع الفكري التي تلعب فيه المفاهيم دورا بارزا.

الإسلامويّة والإسلاميّة عند أوليفييه روا:

يرى (أوليفييه روا) أن فكرة الإسلاموية راجت من بداية ثلاثينات القرن العشرين؛ بعد بروز حركة الإخوان المسلمين بزعامة حسن البنا في مصر، وحركة الجماعة الإسلامية بزعامة أبو الأعلى المودودي في الهند، على أساس بنية فكرية تتأسس على اعتبار الإسلام نظاما سياسيا؛ فكان الاهتمام بتكوين الدولة الإسلامية أساسا لنشاطها الحركي وبذلك يسميها بحركة إسلاموية بما يقابلها في اللغة الفرنسية ب (Mouvement Islamisme)، وهو مفهوم يختلف تماما عن الحركة الإسلامية، ما يقابلها في اللغة الفرنسية ب (Mouvement Islamique)¹.

يتعلق المفهوم الأول بالارتباط العضوي بالمشروع السياسي الذي يوجه الغاية من حركته نحو الدولة ونظام الحكم (السلطة السياسية) والعمل على توجيه المجتمع من خلالها، أما الإسلاموية أو الأسلمة، فهي تخرج من اللعبة السياسية وتنكرها، تحرص على إشاعة المظاهر الإسلامية وبناء المعابد والمدارس التربوية مع سعي حثيث من السلطة العلمانية لرعاية إسلام رسمي للتحكم والتوجيه عبر وزارات الأوقاف والشؤون الدينية...².

¹ م. س، ص 6، 7، 30. أنظر أيضا: كتاب أوليفييه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لازا معلوف، ط2، بيروت: دار الساق، 2016م، ص31. و كتابه، نحو إسلام أوروبي، م، س، ص98.

² أوليفييه روا، الإسلام والعلمانية، م، س، ص48، 49.

تمثّل الإسلامويّة عند (أوليفييه روا) أزمة في الإسلام ذاته و الذي يخلط، كما يقول، بين الدين كعقيدة وبين الدّين كشرعية تحكم حياة الانسان وتقيدده، خاصة ما يتعلق بالعقوبات المحددة في القانون الإسلامي... خلافا للمسيحية التي تتيح للفرد قدرا واسعا من الحرية، ويؤكد أن واجب المسلمين اليوم، خاصة منهم من يعيش في أوروبا العلمانية التّأقلم مع علمانيّتها، بالعمل على إعادة صياغة إسلامٍ جديدٍ يتبنى علمانية أوروبية، ومن يعارض هذا التوجه عليه الرحيل - كما يقول - ؛ إذ لا داعي للقُدوم إلى مجتمع والتمتع بمزاياه مع رفض قيمه ومبادئه.¹ ومن هنا يعلن (روا) موقفا رافضا للحركات الإسلامويّة، كما يسميها، والتي تحمل مشروعا سياسيا لتطبيق الإسلام، في المقابل، يبدي قبوله بالحركات الإسلامية التي يقوم مشروعها على نوع من الطُّهرانية والتزكية والإصلاح الديني²، يريد بذلك جماعات التصوف.

وفي بحثي في الموضوع، يمكنني أن اشير إلى أن أوليفييه روا لا ينفرد في الدعوة الملحة لفكرة (إسلام أوروبي) إذ وجدت نفس الفكرة يتحمس لها المفكر السويدي (أنجمن كارلسون- Ingemar Carlsson)، في كتابه (الإسلام وأوروبا) حيث يدعو بدوره، إلى دمج المهاجرين المسلمين في المجتمع بمشروع إسلام أوروبي للانصهار الثقافي، يتميز بالتسامح وقبول القيم الحضارية الغربية³، وإن بدا الأخير، أقل تطرفا من أوليفيه روا .

الإسلامويّة والعلمانيّة:

لا يمكن فصل فكرة الإسلامويّة عند (أوليفييه روا) عن مفهوم العلمانية: باعتبارها منظومة فكر مترابطة تتعلق بالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي (الحضاري) للإسلام نفسه، وهو ما يشكل مرجعية الحركات التي يعتبرها إسلاموية، بما يتعارض مع العلمانية (laïcité) التي يدافع عنها بشدّة، ويدعو من خلالها إلى ضرورة علّمنة الإسلام ذاته... " نريد إسلاميين علمانيين"⁴، كما يقول. مع فصله بين (العلمانية-laïcité) الفرنسية،

¹ أوليفييه روا، نحو إسلام أوروبي، م، س، ص 95، 96، 97.

² ن، م، ص 57. وفي كتابه الإسلام والعلمانية، ترجمة صالح الأشمري، ط1، بيروت، دار الساقى، 2016م، ص 96. و كتابه، عولمة الإسلام، م، س، ص 32.

³ أنجمن كارلسون، الإسلام وأوروبا، ناعيش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتاي، ط1، القاهرة: مكتبة الشرق الأوسط الدولية، 2003م، ص 7.

⁴ ن، م، ص 59.

التي ترفض تماما تدخل الدين في شؤون الدولة والثقافة وبين (الدَّنيوية - Secularisme)، وتعني رفض الدين كعقيدة وتدعو إلى فصل الدين عن الحياة كلها.¹

تصبُّ جملة كتب هذا المفكر على دراسة الإسلام السياسي كما يسميه والذي تتبناه -كإيديولوجيا- الحركات التي تريد إقامة نظام حكم إسلامي، مع دعوة لحل أزمتها عن طريق مشروع علماني يقوم على الفصل بين الإسلام كدين وعقيدة وروحانيات وبين السياسة والحكم والتشريع وعلى هذا الأساس قدم أهم كتبه (La laïcité face a l'islam)

والذي نشره بالفرنسية عام 2005م، ثم نشر بالعربية عام 2016م، بعنوان: الإسلام والعلمانية (دار الساقى ببيروت).

في نظر (أوليفييه روا) العلمانية ثلاث مجالات :

- العلمانية كفلسفة: يرتبط بالقيم والمفاهيم والتوجهات الثقافية للمجتمع وترتكز على فلسفة الأنوار التي تروج لقيم تدعو للتحرر من الدين واعتماد العقل كمصدر للإلهام.
- العلمانية كنتيجة للقانون، مبدأً دستوري انبثقت عنه مجموعة قوانين اشتمل عليها الدستور الفرنسي عام 1946م، وتنصّ على الفصل التام بين الكنيسة والسلطة.
- العلمانية كمبدأ سياسي، الذي يرتبط بين تطور المجتمع الفرنسي كمحصلة للصراع التاريخي المبرر بين العقلانيين من رجال التنوير وبين الظّلاميين من رجال الكنيسة...
- يبدو المفكر الفرنسي أكثر حماسا للعلمانية الفرنسية بمفهوم الفصل التام للدين عن الدولة في جانب الحكم والتشريع، وهي -كما يرى- إرث تاريخي أصيل نتيجة لصراع حاسم بين العقلانيين من رجال العلم ورجال الكنيسة، والذي انتهى إلى إعلان قيم الجمهورية عام 1905م، لكن الصراع انتقل، اليوم، من صراع مع الكاثوليكية إلى صراع مع الإسلام؛ وهو الدين الذي يعتبره خطرا على قيم الجمهورية الفرنسية والأوروبية عموما، خاصة مع تنامي ظاهرة الالتزام الديني بين المهاجرين الذين يشكلون جزءا هاما من المجتمع في أوروبا، وهو ما يبدو جليا من خلال كتابه (العلمانية في مواجهة الإسلام) الصادر عام 2005م، بعنوانه بالفرنسية: (la laïcité face a l'islam) .

¹ أوليفييه روا، نحو إسلام أوروبي، تعريب خليل أحمد خليل، ط1، بيروت، دار المعارف الحكيمة، ط1، 2010م، ص 6. أنظر أيضا كتابه: الإسلام والعلمانية، م، س، ص، ص 20، 29، 120.

ومما يثير قلقه، كما يقول، بروز نخب من المثقفين تحمل خطابا إسلامويا يُنشر من خلاله فكرٌ ينقضُ القيم التي يتحدث عنها ولعل أبرز هؤلاء المفكر الإسلامي (طارق رمضان)* الذي يُسلط عليه الضوء في الأوساط المثقفة الفرنسية نظرا لتأثير خطابه، هذا المفكر المسلم يحاول تقديم خطاب للدِّفاع عن الإسلام المعتدل في مواجهة ظاهرة الاسلاموفوبيا (الخُوف من الإسلام)، خاصة في الوسط الأكاديمي الأوروبي، من خلال حملة تشويه منتظمة منذ عام 2004م.¹ ورغم ذلك فإن (روا) لا يتفق مع خطاب (طارق رمضان) الذي يحاول-حسب رأيه- تسويق صورة غير صحيحة للإسلام العلماني الذي لا يتعارض مع قيم الحضارة الغربية، بل إن مثل هذا الخطاب، في نظره، قد يشكل خطرا أكبر في تزييف الوعي الأوروبي إزاء ظاهرة الإسلام المتمدد في أوروبا... والسبب أن الإسلام نفسه يحمل قيما تتناقض بل وتعادي قيم العلمانية (القيمة العليا للجمهورية الفرنسية)، لأن هناك تناقضٌ بُنيويٌّ بين الإسلام والعلمانية، ولا يفلح خطاب الاعتدال الذي يسوق له أمثال طارق رمضان في تغيير هذه الحقيقة، ويزداد حدة في كيل اتهاماته للدّاعية والأكاديمي المسلم، وبروح انحيازية غير علمية فيصرح بأن طارق رمضان يعمل على غزو الغرب بمشروع جدّه (حسن البنا) مستغلا تسامح العلمانية الفرنسية...²

قراءة مثل هذه العبارات التي يدونها المفكر الفرنسي تحيد به عن الموضوعية (وهو ما تعرف كتاباته وأفكاره رواجها الكبير في الأوساط المثقفة في الغرب)، وخاصة وهو يناقش نشاطات وأفكار أمثال طارق رمضان، التي ربما اعتبرها البعض من المسلمين أفكارا متساهلة لإرضاء العقل الأوروبي، وخاصة في فرنسا، حيث مظاهر العنصرية الدينية أكثر بروزا، بما يشبه ما حدث للشيخ محمد عبده، رحمه الله، من خلال أطروحاته في الفقه والتفسير رأى

* طارق سعيد رمضان (Tariq Ramadan): ولد في 26 أغسطس 1962 في جنيف، سويسرا: مفكر سويسري من أصل مصري، وهو حفيد مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا من أمه، وتجل الدكتور سعيد رمضان سكرتير البنا. يعمل طارق رمضان كاستاذ دكتور متخصص في الفكر الإسلامي ومحاضر في جامعة أوكسفورد أعرق جامعات بريطانيا وجامعة فرايبورغ بألمانيا، يتركز اهتمامه في التجديد الإسلامي وبحث قضايا المسلمين في الغرب، ويعتبر أحد القيادات الإسلامية في أوروبا ومن أكثر الشخصيات المؤثرة فيها. مستشار وخبير لدى عدة لجان في البرلمان الأوروبي. يشارك أيضا في عدة غرف عمل عالمية لديها علاقة بالإلهيات والأخلاقيات، وبالحوار بين الأديان والثقافات، وعموما في المواضيع الاجتماعية. هو مدير مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق ومقره الدوحة. وهو عضو في الفريق الاستشاري لوزارة الخارجية البريطانية في حرية الدين والمعتقد. كما أنه عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

¹ أوليفييه روا، الإسلام والعلمانية، م، س، ص ص 7، 8، 11.

² ن، م، ص، ص 17، 28، 31.

فيها بعض الباحثين ترضية للعقل الغربي على حساب الحقيقة الدينية ؛ حتى وصل الأمر ببعض المفكرين المسلمين إلى اتهامه بالعمالة للغرب...¹ .

وظاهرة التحيز واللاموضوعية في طرح الأفكار وإطلاق الأحكام الجذافية على الظاهرة الإسلامية تؤكد نزعة دوغماتية لدى أنصار العلمانية في الغرب وتؤكد تناقضاتها في أذهانهم، على غرار (أوليفييه روا)، الذي يظهر نفسه من جهة، متعاطفا مع طارق رمضان إزاء الحملة التي شنت عليه من بعض الأوساط المثقفة في فرنسا، بما يشبه محاكم التفتيش، ومن جهة ثانية يهاجمه على أساس أنه أصولي متخفي كما يقول.² وهو ما يبدو تناقضا في التقييم، لكن ذلك لا يخرج عن إطار اتجاه الرجل الذي يقبل الإسلام الرسمي المداهن للعلمنة المنسجم مع قيم المجتمع الأوروبي الحديث وثقافته، ويرفض الإسلامي الأصولي حامل فكرة الإسلام الشاملة عقيدة، شريعة وأخلاقا؛ ولهذا نراه يتحفظ حتى على ما يقدمه البعض من اتجاهات الإسلام الرسمي (التابع للسلطة السياسية في البلاد العربية)، فحسب رأيه فإن ما يقدمه هذا الاتجاه من دعم لروح العلمانية في الدولة، ليس له تأثير حقيقي في المجتمع في مواجهة التيارات الأصولية التي تقدم مشروعاً للإسلام الشامل.³

وعليه فإن أوليفييه روا، يتجاوز حدود الموضوعية باقتراحه تعديلا في الإسلام ذاته ليتلاءم مع العلمانية؛ أي مشروع سافر لعلمنة الإسلام، وإخضاع الشأن الديني لمراقبة الدولة، وفق نموذج الكمالية في تركيا. مع التحذير الشديد من ظاهرة الدعوة إلى الإسلام ومظاهره (لعل أبرزها انتشار ظاهرة الحجاب في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة)، وهنا يكشف الرجل عن هدف مشروعه الحقيقي، لأن الإسلام الواقعي الذي يحمله المسلمون اليوم، يتعارض مع قيم فرنسا وعلمايتها، بل ويهدد ثقافتها العريقة، ومن هنا يحاول معالجة أزمة المرأة المسلمة، وبشكل متطرف، يدعو، صراحة، إلى تدخل الدولة الفرنسية لتحرير المرأة المسلمة المتحجبة في الغرب، والتي أجبرت-حسب رأيه- تحت تأثير الضغط الاجتماعي على ارتداء الحجاب....⁴ وهو ادعاء غير علمي، تطفئ عليه روح الحيز والتعصب.

¹ أنظر مثلا ما كتبه محمد محمد حسين في: الإسلام والحضارة الغربية، ط1، مصر: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1975م، ص 77، 78.

² أوليفييه روا، الإسلام والعلمانية، ص 7، 49، 76.

³ ن، م، ص 79، 80.

⁴ ن، م، ص ص 58، 59، 61.

من جهة أخرى يقترح المفكر الفرنسي تكوين جبهة للفصل التام في البلاد العربية نفسها بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية (وليست السلطة السياسية فقط)، والتصدي الحاسم للتيارات الإسلامية التي تربط الدين بالسياسة ربطاً عضوياً؛ باعتبار أنها تجرّ الشباب إلى العنف لتحقيق مشروعها في الحرب المقدسة (يقصد مشروع الجهاد)، خلافاً للتيارات الإسلامية التي تركز في مشروعها على التحقق بالتقوى والإصلاح الاجتماعي، وهذا التيار الذي يتبنى فكرة التزكية والتطهير في مقاومة الانحرافات والجرائم الاجتماعية (العنف والمخدرات) لا يتعارض مع العلمانية، لأن السياسة والقوانين لا تهمّه، وهذا ما يجب دعمه، كما يقول، كبديل للتيارات المضادة، وخاصة جماعة الطهرانيين الصوفية الداعين إلى التأمل في حقائق الأشياء¹.

وهنا لا بد من الإشارة إلى تيار فكري ثقافي في أوروبا- وفي فرنسا بالذات - يدعّم التصوّف الإسلامي السنيّ، لعل أهم أعلامه المفكر والفيلسوف الروحي الفرنسي المعروف (رينيه جينو - Rhenee ginou) *، الذي يعتبره المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله) نموذجاً للتثاقف الحيوي، الذي تلعبه الثقافة الإسلامية في إنقاذ الإنسانية...²، ومن أعلامه في هذا العصر المفكر و الأكاديمي الفرنسي (إريك جوفروا - Eric geoffroy) الذي أسلم، وأصبح اليوم من الدعاة المتحمسين إلى روحانية الإسلام مقابل التوجّه نحو قضايا الحكم والسلطة؛ والذي يرى أن العلمانية لا تتعارض مع حقيقة الإسلام التي تتأسس أصلاً على التشبّع الروحي، الزهد والفناء، دون أن يعني ذلك تدعيماً للعلمانية بصيغتها الغربية والفرنسية خصوصاً، التي يرفضها (جوفروا) باعتبارها تدميراً للإنسانية³، خلافاً لما نجده عند مواطنه (أوليفيه روا).

¹ م س ، ص ص 90، 102، 143، 165.

* رينيه جينو، أو (قينو - Rhenee ginou)؛ مفكر وفيلسوف فرنسي، ولد بفرنسا في 15 نوفمبر 1886م، وتوفي بالقاهرة يوم 7 يناير 1951م ودفن بها، تأثر بالتصوّف الإسلامي، اعتنق الإسلام وأصبح اسمه (عبد الواحد يحيى)، انتقل للعيش في القاهرة و تزوج مصرية، ترك تراثاً فكرياً عميقاً، من أهم كتبه: الشرق والغرب، كتاب: السلطة الروحية والقوة الزمنية، أزمة العالم الحديث، سلطان الكم وعلامات الزمن....

² مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، الجزائر، ودمشق: دار الفكر، 1406هـ/1986م ص ص184، 185.

³ إريك جوفروا، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة هاشم صالح، مراجعة أسامة نبيل، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2016م، ص ص 54، 89 .

من جهة مقابلة ألاحظ أن (أوليفيه روا) يتجاهل قانون معاداة السامية الذي تقره المنظومة القانونية لفرنسا العلمانية والتي تنصُّ قوانينها على معاقبة كل من يتعرض لانتقاد اليهود أو يتجرأ على إنكار أو حتى التشكيك فيما تعرضوا له تاريخياً، كما حدث للمفكر الفرنسي المسلم (رجاء غارودي)* الذي تعرض للاضطهاد والتضييق لمجرد تشكيكه في عدد اليهود الذي أحرقوا في العهد النازي... فقدّم للمحاكمة في المحاكم الفرنسية، وتمّت إدانته، وتغريمه، في نظام أوروبي فرنسي يدّعي الريادة في تبني العلمانية والدفاع عن حرية الفكر والدين...

قام (غارودي) بتوضيح موقفه تجاه أعضاء هيئة المحكمة والردّ على ما تم اتهامه به بمعاداة السامية؛ حيث أشار إلى ما قامت به جماعة (الليكرا) (الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية) من مقاومة لكتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، والذي تُرجم في ثلاث وعشرين دولة، وقد جاء موقف (الليكرا) معادياً لهذا الكتاب، لأن جارودي يُحذّر فيه من خطر حرب يخلقها اللوبي العالمي، كما أنه قد فنّد في هذا الكتاب الأساطير التي قامت عليها إسرائيل، وما يُعد الأخطر بالنسبة لليكرا في هذا الكتاب، هو دعوة جارودي للبحث العلمي الدقيق في العدد الحقيقي لضحايا الهولوكوست والذي تم تقديره بـ 6 ملايين يهودي. عندما انتقد جارودي السياسة الإسرائيلية أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982م، والذي أسفر عن 20 ألف قتيل، رغم أن غارودي أظهر أنه لا ينتقد الدين اليهودي وإنما ينتقد الصهيونية كإيديولوجيا¹، لكن يبدو أن جماعات الضغط اليهودية نجحت في تزييف العلمانية الفرنسية نفسها؛ لأن الأصل في مفهوم العلمانية يقتضي الموضوعية وعدم التمييز... وهو ما لم يتعرض له (أوليفيه روا) واكتفى فقط بالإشادة بنشاط وفعالية اليهود بفرنسا مقابل تراخي المهاجرين المسلمين وتشتتهم رغم وفرة أموالهم.....²، ومن هنا يمكننا قراءة أفكار (أوليفيه روا) كانهيازٍ أكثر تطرفاً لعلمانية متجاوزة

* رجاء غارودي (Roger Garaudy)؛ مفكر وفيلسوف فرنسي، ولد يوم 17 يوليو 1913م وتوفي يوم 13 يونيو 2012م، كان من كبار المفكرين الشيوعيين الفرنسيين. أسلم عام 1982م بعد اطلاعه على تعاليم الإسلام، ألف كتباً كثيرة في الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين، منها: الإسلام دين المستقبل، حوار الحضارات، الإسلام وأزمة الغرب، الإرهاب الغربي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية...

¹ مَنى عوض، ((هكذا حاکمت أسطورة ملايين الهولوكوست)). روجيه جارودي من موقع: <https://www.ida2at.com/so-trying-legend-million-holocaust-roger-jaroudi>

تم الاطلاع عليه يوم 10-5-2020م الساعة 13:45.

² أوليفيه روا، الاسلام والعلمانية، م، س ص 15.

لمعطيات عقلانية تحمل الكثير من التحيز بما يمكنني أن أسميه ظاهرة العلمانية مقابل ما يسميه هو ظاهرة الإسلاموية؛ التي يسوق لها على أنها اتجاه تيارات الإسلام الأصولي التي تحمل مشروعا سياسيا متطرفا للحكم، معاديا للعلمانية.

فصل الدين عن الثقافة:

يدعو (أوليفيه روا) لإسلام أوروبي منقطع الصلة تماما عن السياسة والتشريع العقابي والاقتصار على إحياء خصائص ثقافية (عادات وتقاليد اجتماعية) خاصة، في كتاب له يحمل عنوانا مستفزا (-Vers un islam europeen -)، وما يدعو إليه المفكر الفرنسي ليس غريبا؛ الذي يبدو أنه تأثر بأفكار الفيلسوف (لايبنتز - 1646 Leibniz - 1716 م)، الذي أعدّ عنه أطروحته الجامعية)، في دعوته إلى نظرية لاهوتية عقلانية مقبولة من جميع الأديان ترجع إلى ما يسميه (العقل الكوني)¹.

ترمي فكرة الإسلام الأوروبي إلى تجميع الإسلام في مسيحية أوروبا ليتقبل علمانيتهما، حيث يرى المفكر الفرنسي إمكانية ذلك؛ حيث أن الدين بما أنه ظاهرة عقلية اجتماعية أكثر منه ظاهرة ميتافيزيقية- كما يقول- فيمكن أن يتكيف في الوسط الثقافي الذي يوجد فيه، بدليل أن هيمنة السياسة في بعض البلدان استطاعت تطويع الدين لإيديولوجيتها، مثلما تفعل الحكومات الشمولية²، غير أن هذه الفكرة قد تفتح المجال لتقسيم الإسلام نفسه: إسلام أمريكي، إسلام آسيوي، إسلام إفريقي... حيث يتم صهر الإسلام، كدين، في الوسط الديني الذي يوجد فيه، وهذا ما يتعارض مع جوهره العقدي بله التشريعي، فلا يمكننا التسليم به ونحن نشهد مظاهر التدين تنتشر بين المهاجرين المسلمين في أوروبا، مع صمود للدين كعقيدة أمام مختلف محاولات النقض والتشويه، من ذلك ما يشهد به تاريخ الاستعمار الفرنسي نفسه في الجزائر وطيلة قرن وربع، حيث لم تستطع الآلة التنصيرية، رغم كل ما بذلته، أن تحقق ولو جزءا صغيرا من أهدافها، وهذا ما يعترف به المفكر الفرنسي نفسه³.

¹ أوليفيه روا، الجهل المقدس، زمن دين بلا ثقافة، ط1، ترجمة صالح الأشمر، بيروت: دار الساقي، 2012م، ص 17.

² ن.م، ص ص 24، 27، 34، 35.

³ ن.س، ص 40.

غير أن ما يدعو إليه المفكر الفرنسي من فكرة فصل الدين عن الثقافة الاجتماعية يبدو أمثاليا ومتناقضاً، إذ كيف يمكننا تصور حصر الدين الإسلامي في العقيدة والايمان، دون أن يكون لذلك أبعاده الثقافية؟ مع أن الدين عنصرٌ أساسي في التوجيه الثقافي والاجتماعي؛ لكنها خطوة أولى يراها ضرورية لتهيئة الإسلام للانصهار في الثقافة العالمية، فيمكن للفرد - حسب هذا المفكر - أن يكون الفرد متديناً (طُهرانياً)، ويحيا، في المقابل، حياة يختارها لنفسه (متحرراً من التكاليف والقيود الشرعية) وحينها ينعم بالسلام والطمأنينة والحرية... وإلا انتشر التعصب وعمّت الكراهية وضاعت فرص السلام في العالم...¹ وهنا نتذكر نظرية أستاذه (لايبنتز Leibniz) حول العقل الكوني، التي أشرنا إليها سابقاً، التي يدعو فيها إلى تبني دين إنساني عالمي...

إن فكرة التمييز بين الدين، كعقيدة، والدين كثقافة، فكرة تصبُّ في مشروع علمانية متطرفة، بما يعنى فصل الدين عن الحياة كلها (secularité)، وهو ما يطلق عليه مصطلح (الدنيوية) وليس مجرد (لائكية - laïcité) تفصل الدين عن السياسة؛ حيث يعتبر المفكر الفرنسي إندراج الديني في الثقافي أزمةً ينبغي علينا تجاوزها لتوحيد الثقافات؛ في حين لا يمكننا حصر دور الدين وتحييده عن توجيه وصناعة الثقافة، بما هي نظرية في السلوك، والتوجيه العملي والأخلاقي، كما يقول مالك بن نبي (رحمه الله).²؛ بل إن المعامل الديني كان ولا يزال عاملاً أساسياً في تقدم المجتمعات، فهو متغير مستقل من شأنه تفسير الاضطرابات المعاصرة على مستوى العالم، كما يقول (دلفين آلاس) (أستاذ العلوم السياسية بجامعة باريس) في مقاله: "هل تقود الأديان مسيرة العالم؟"³؛ حيث من المستحيل تصوّر إزاحة الدين عن صنع المشهد الثقافي في أي مجتمع.

¹ م، س، ص 58، 59، 61.

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، الجزائر ودمشق: دار الفكر، 1404هـ/1984م، ص 74-75.

³ برتراند بادي و دومينيك فيدال، من يحكم العالم، أوضاع العالم في 2017م، ترجمة نصير مروة، ط1، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2016، ص ص 62، 64.

مآزق الإسلامويّة عند أوليفيه روا.

يرى (أولفيه روا) أن اتجاهات الإسلام السياسي التي تتناقض جذريا مع قيم العلمانية والديمقراطية الغربية لا يمكن التسامح أو التساهل معها؛ لأنها تشكل خطرا على استقرار ونمو وتقدم المجتمع الذي تترعرع فيه، وهي بذلك أشد خطرا في المجتمع الغربي والفرنسي خاصة، ولا يمكن الوثوق في الخطاب الإسلامي في الغرب الذي يتمظهر بمظهر التسامح والتأقلم مع علمانية أوروبا وقيمها الثقافية، مثل الخطاب الذي يتبناه أمثال (طارق رمضان) وكأنه يركب نوعا من (الثققة) السياسية المخادعة.¹ وفي المقابل نجد المفكر الفرنسي يشيد بخطاب التنوير الإسلامي الذي يبرز رؤية جديدة للاهوت الديني في الاسلام بفصل الرسالة القرآنية كنص، عن تجسدها التاريخي (الزّمكاني) وهو ما يمثل المفكر الجزائري الأصل (محمد أركون)²، ومن هنا يبرز التوجه الذاتي المتحيز والانتقائي، حيث يرفض فكر طارق رمضان (الإسلامي) ونشاطاته الثقافية بينها يرحب، في المقابل، بمحمد أركون (الحداثي العلماني)، بدافع ايديولوجي متحيز.

تبدو الإسلامويّة عند (أولفيه روا) كتيار ظلامي، يقف حاجزا للمجتمع الإسلامي عن العالم؛ لمواقفه المتطرفة والمناهضة لقيم التمدن والحضارة، التي كثيرا ما تقود إلى سلوكات إرهابية، ولاشك أن مظاهر الإسلاموية تشكل مصدر ازعاج كبير للمفكر الفرنسي، خاصة ظاهرة الحجاب التي تنتشر بين الفتيات في الغرب، والذي يصحّح، بكل جرأة، أن من حق فرنسا الرّسمية إصدار قوانين لمنعه³، مخالفا بذلك مبادئ الجمهورية الفرنسية في حماية حرية النّاس...، رغم أن ظاهرة الحجاب لا تمتد بفعل نشاطات الإسلامويّة (بمفهوم الارتباط بالمشروع السياسي)، وإنما كفريضة إسلامية أصيلة، ثابتة بالنّص الشرعي، مرتبطة بالعامل الديني نفسه.

ومن خلال قراءة أفكاره خاصة ما تعلق بنقده للحركات الإسلاموية نعرف توجهه الانتقائي، فهو يلح على التحذير منها (التحذير موجّه أساسا لمراكز صناعة القرار في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة)، بل إنها، حسب رأيه، تشكل خطرا على المجتمعات الإسلامية

¹ الإسلام والعلمانية، م، س، ص ص 11، 17، 23، 76.

² ن، م، ص 81، 82.

³ ن، م، ص 167.

نفسها، كما يقول بدليل الصدام المستمر مع أنظمة الحكم، وهي تيارات أصولية متزمتة لا تملك مشاريع حقيقية للنهضة لأنها تقوم على رؤية ماضوية وفكر ظلامي جامد متناقض مع قيم الحضارة والمدنية الحديثة، ولا زالت بنية هذه التيارات نفسها تقدم مشاريعاً تقوم على أن بناء مجتمع إسلامي يكون انطلاقا من سلطة سياسية، وهو ما يتناقض تماما مع قيم الغرب العلماني.

يشير هنا (روا) إلى نموذج حركة الإخوان المسلمين في مصر، والجماعة الإسلامية في باكستان، والجهة الإسلامية في الجزائر وغيرها التي يرى أنها فشلت في بناء دولة حقيقية، وهذا الفشل لا يمكن ربطه بمؤامرات خارجية بقدر ما يرتبط ببنية المشروع الأصولي الإسلامي نفسه الذي تحمله هذه الحركات، ومنه فكر سيد قطب (ت1966م) وجماعات الجهاد...¹.

يحاول (روا) بإلحاح وإصرار -وهو ينتقد بعض سلوكات المسلمين التي يرصدها في المجتمع الفرنسي-، أن يربطها بالإسلام ذاته...، بما يعبر عن تحيز واضح، ضد الإسلام كدين؛ متجاوزا حقيقة أن قيم الاسلام لا تمثلها تصرفات بعض المسلمين، بالضرورة. رغم أننا نجده (المفكر الفرنسي) يتدارك الأمر في بعض الأحيان فيعود ليقول أن بعض سلوكات المسلمين في ارتكاب العنف تعود إلى أسباب اجتماعية واقتصادية، كالتهميش والبطالة والفقر والحرمان...². وحتى الأعمال الإرهابية (استخدام العنف المادي لتحقيق أهداف دينية) فإن سببه الرئيسي - حسب رأيه- حالة التهميش التي يعرفها الإسلام نفسه كدين، نتيجة حالة يرى فيها الغرب الإسلام كعدو غاز ومسلمين يعيشون كأقلية مضطهدة حتى في بلادهم، وهو أحد أسباب نشأة الإسلاموية كفكرة...³، والغريب أننا نجده يؤكد على ربط التنظيمات الجهادية الإرهابية بالتنظيمات الشيوعية، يقول حرفيا: "الإرهاب ابتكار شيوعي ورثه الإسلاميون"⁴. وهو كلام فيه تجاوز كبير، فلا ندري لم الربط بين الإسلاميين أو الإسلامويين، كما يسميهم، وبين التيارات الشيوعية المتطرفة، التي يسميها التيارات الراديكالية، إذا عرفنا المناكفة الشديدة بين التيارين بسبب تعارض العقيدة الوجودية.

¹ أوليفييه روا، عولمة الاسلام، م، س، ص ص 7، 8، 11، 12.

² ن، م، ص ص 12، 22.

³ ن، م، ص ص 30، 31.

⁴ أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، م، س، ص ص 15، 51، 52.

إن ما يذهب إليه (روا) قد يظهر في صورة أكثر تطرفاً عند مواطنه الخبير في دراسة الحركات الإسلامية (جيل كيبيل - Gilles Kepel) الذي يحاول في كتاباته ربط صورة الإسلام بتيوقراطية للحكم الإلهي، بتقديم كتابات (أبي الأعلى المودودي) عن الحاكمية الإلهية وسيد قطب في أفكاره المتضمنة في (معالم في الطريق)، كنماذج تمثل الإسلام، المتزمت المتطرف، ويبني على ذلك صورة للإسلام كدين متوحش.¹ وهو منهج انتقائي يجانب تماماً موضوعية الباحث العلمي، بما يصب في جهود غربية حثيثة لربط ما يسمى الإسلام، كدين، بالإرهاب، كظاهرة محصورة، وممقوتة دينياً وأخلاقياً.

نظراً لما يعتبره مآزق الإسلاموية (L'islamisme)، فإن (روا) يرى أنها تتراجع في رؤيتها، باستمرار حتى بات من الصعب، في البلاد الإسلامية، التمييز اليوم بين الحركات الإسلامية والحركات العلمانية، خلافاً لما يقع في المجتمعات الغربية، فحين كتب سلمان رشدي، (آيات شيطانية)، تركزت الاحتجاجات ضد الكتاب في البلاد الغربية، خاصة في أوروبا، ومشروع الجهاد عند عبد الله عزام (وهو داعية أردني من أصل فلسطيني من تلامذة سيد قطب) حملته إلى أفغانستان.²

إضافة إلى أن فكرة الدولة الإسلامية نفسها (في منظور هذا التيار الإيديولوجي) فكرة ضبابية لا مشروع واضح لها في أذهانهم، كما يقول المفكر الفرنسي؛ فليس للاسلاميين - كما يسميهم -، مشروعاً واضحاً حولها، بل قصارى ما يملكونه مشروعاً لفرض الآداب العامة وتطبيق الأحكام الشرعية، كرد فعل على القوانين الغربية، ولهذا قامت التيارات الإسلامية (L'islamiste) نفسها ضد الفكر الإسلاموي (L'islamisme)، مثل ما فعل الشيخ (محمد سعيد رمضان البوطي) الذي يذكره (أوليفيه روا) كنموذج للمفكر الذي يركز في الدعوة على التربية والتزكية الروحية بدل الكفاح السياسي، كمجال لأسلمة جديدة بعيداً عن حركات تسييس الدين.*

¹ جيل كيبيل، النبي وفرعون، ترجمة أحمد خضر، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ط، 1409هـ-1988م، ص ص 22، 28، 33، 34، 45.

² أوليفيه روا، عولمة الإسلام، م، س، ص ص 35، 37.

* يظهر أن (أوليفيه روا) مطلع جيد على تيارات الفكر الحركي الإسلامي، وإشارته هنا إلى كتاب الشيخ البوطي -رحمه الله- (الجهاد، كيف نفهمه وكيف نمارسه؟)، أنظر كتابه: عولمة الإسلام، المرجع السابق، ص 42، 43، 44.

على أساس تركيزها على الجانب السياسي وحصر العمل في إطاره، يحكم (أوليفييه روا) على تجربة الحركات التي يسميها (إسلاموية) _ وليست مجرد (إسلامية) _ بالفشل التام في تحقيق أهدافها، فيما عدا تحشيد الجماهير التي تسعى بعواطفها دون إدراك لحقيقة ما يتم دفعها إليه؛ فالإسلام السياسي، كما يقول، أضى مجرد ظاهرة اجتماعية عاطفية واهمة دون برنامج حقيقي...¹

رغم أن المفكر الفرنسي لا يشير إلى ظاهرة الاضطهاد التي تعرض لها هذا التيار التي يسميه التيار الإسلاموي، بسبب تعارضه مع مصالح فئات السلطة السياسية الحاكمة في البلاد التي نشأ فيها، بما تدعمه القوى الغربية نفسها. وهو ما ثبت أن فرنسا نفسها، التي تدعي العلمانية والديمقراطية، تدعمه بشدة، كما فعلت في الجزائر، سنوات التسعينات من القرن العشرين، بل إن تحيز هذا المفكر يظهر من فلتات ما يكتبه؛ حيث يبدي انزعاجه من دعوة هذا التيار في الجزائر إلى استبدال اللغة الفرنسية باللغة الانجليزية.²

يشير (أوليفييه روا) إلى مرحلة ما بعد الإسلاموية، تتجه فيه التيارات الإسلامية إلى البحث في سبل تنشيط الاقتصاد والتنمية التي تفتقر لها مجتمعاتها المتخلفة تحت ظل سلطة علمانية، وسيتحول الدين إلى شأن خاص بكل فرد، بما ثبت في المجتمعات الغربية التي تحصى فيها نسب متزايدة من المتحليلين من الدين بين المهاجرين العرب، ويذكر أن إحصاءات أجرتها بعض مراكز الدراسات بين المهاجرين المسلمين الجزائريين بفرنسا، أثبتت ارتفاع نسبة الذين لا يشعرون بانتمائهم للدين أو أنهم لا يمارسون شعائره...³ ولا يخفى أن مثل هذه المراكز البحثية ورغم ادعائها العلمية، إلا أن مصداقية الأرقام التي تقدمها تبقى محل شك، باعتبار عامل الانحياز، والأمر يتطلب مراكز أبحاث مستقلة، بما لا ينفي كون بعض المهاجرين، وخاصة الشباب منهم، ربما تماهوا سلوكيا مع ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه، لكن الأمر لا يقبل التعميم ولا يصح أن نحكم بأنهم فقدوا الشعور بانتمائهم الديني والقومي، كما يقول (روا).

¹ أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة حسين مروة، ط2، بيروت: دار الساق، 1990م، ص 7، 8.

² ن.م، ص 189.

³ أوليفييه روا، عولمة الإسلام، م، س، ص، ص 52، 55، 56.

يمكن القول أن مشروع علمنة الإسلام على الطريقة الفرنسية في البلاد الإسلامية فيه تجاوز معرفي كبير؛ باعتبار طبيعة الإسلام ذاته الذي لا يمكن تفكيكه إلى عقيدة منفصلة عن الشريعة أو عن الأخلاق، فالإسلام كلٌّ متكاملٌ، خلافاً للمسيحية في أوروبا التي تحمل أصلاً للفصل بين ما لقيصر لقيصر وما لله لله... وبُنية المجتمعات تختلف وثقافتها تميز، وظروفها تتباين، ولا يمكن القياس هنا، فلكل مجتمع ظروفه، ولكل ثقافة إطارها، في أوروبا؛ لقد برزت فالعلمانية نتيجة صراع تاريخي طويل بين حركة الإنسانيين (Le mouvement humaniste) التي انطلقت في منتصف القرن الخامس عشر في جنوب أوروبا (إيطاليا تحديداً)، والتي تشكل صراع العقل والدين وحركة الإصلاح الديني التي ظهرت في الشمال، في ألمانيا تحديداً مع (مارتن لوتر وكالفن)، وبين المجتمع الإسلامي الذي لم يشهد مثل هذا الصراع، باعتبار أن الإسلام ليس فيه تعارض مع العلم، بل التفكير العقلي أساساً في قبول الإيمان وإقرار العقيدة، ومن هنا كان الحكم العقدي في الإسلام بعدم اعتباره إيماناً المقلد... أما مصطلح الإسلاموية، فهو مفهوم غريب عن المفاهيم الإسلامية، لا يمكن عَوْضَتَهُ في البنية الثقافية الإسلامية؛ لأن التغيير الاجتماعي في هذه المنظومة لا يحمل فصلاً بين الدين والسياسة؛ لشموليته من جهة وباعتبارها أحد أبعاده من جهة أخرى. ويمكننا قراءة المصطلح بمفهوم (أوليفيه روا) من باب عقل غربي مادي متحيز لمنطقاته الفكرية التي تتعوض مع رؤية متأصلة في الفصل بين ماهو ديني وماهو دولة، بناء على ثابت (العلمانية – Secularité) في المنظومة الغربية والفرنسية خاصة. إضافة إلى أن الإسلام دين شامل لجوانب الحياة كلها: اجتماعاً، سياسةً، واقتصاداً وثقافةً، مع فتح باب الاجتهاد للعلماء في إطار الثوابت والأصول.

إن محاولة ربط مفهوم (الإسلاموية) بالحركات الإسلامية التي تتبنى مشروع إقامة دولة وتندرع بالوسائل السياسية لتحقيق ذلك مع إهمال الجوانب الطهرانية الأخرى، هو ربط إجرائي، لأن هذه الحركات تعبر عن فكر وتوجه مجموعة حركية نشطة في المجتمع الإسلامي ولا تعبر بالضرورة عن الإسلام، و(أوليفيه روا)، نفسه يعترف بذلك، كما سبق، وعليه يمكن فتح نقاش علمي موضوعي حول ما يطرحه هذا المفكر، ليستفيد منها القادة الفكريين والحركيين لهذه الاتجاهات، لأهمية كتابات هذا المفكر الفرنسي، التي تؤثر في توجيه السياسة الغربية من جهة، مثل ظاهرة المبالغة في تسييس الدين وطغيانه على

الرسالة الروحية الطهرانية للدعوة الإسلامية، عند بعض الحركات الإسلامية، كما تناولها الفيلسوف المغربي (طه عبد الرحمن) بالتحليل والنقد¹.

نظرا لخطورة التحديات التي تواجهها بسبب التغيرات الكبرى التي يحدثها واقع الصراع العالمي؛ لا ينبغي التغافل عن روح التعصّب التي تبرز مظاهرها في الغرب، مؤسسات وأفراد، وعلى هؤلاء الذي يسمون أنفسهم بالمفكرين المتنورين المتحمسين لعلمنة الإسلام، الانتباه إلى جانب التحيز ضد الإسلام كدين، فيكون في ذلك ردود أفعال، تُصنف ضمن ظواهر التعصب والإرهاب، مثال ذلك أن قاموس ريساورس (Rogets thesaurus) نسخة 1980م، يشير إلى أن مفهوم كلمة (العربي) تعني: النذل، الأخرق، المخادع، الساذج.....!!²؛ وعليه تظهر بعض الأصوات من مفكرين غربيين معاصرين، مثل (أنجلمان كارلسون - Ingemar Carlsson)، تدعو إلى نظرة جديدة للإسلام والعالم الإسلامي بعيدا عن نظرية المؤامرة الإسلامية ضد الغرب، التي تحملها عقول بعض المفكرين الغربيين، ما جعل الرأي العام في فرنسا تحديدا، حسب رأيه، يربط بين التعصب والإرهاب بالإسلام كدين، ويشيرها إلى إحدى دراسات استطلاع الرأي التي تثبت أن 3 من 4 من الفرنسيين يربطون بين الإسلام والتطرف والعنف، نتيجة للدعاية المغرضة³؛ ولا تغيب عنا حملة التشويه الكبيرة والمنظمة التي تحاول كثير من المؤسسات الإعلامية في الغرب من خلالها، تنميط الإسلام والمسلمين في صورة: الكراهية، العنف، التطرف، الإرهاب، وهو ما تثبته كثير من الدراسات العلمية⁴. وهذا ما يعيق عملية الحوار والتّثاقف التي تشكل أحد طرق التعايش بين المسلمين والغرب، لحصر ظواهر الإسلاموفوبيا والتوترات التي تطبع العلاقات بين الطرفين. ويبقى نشر الوعي الثقافي واجب على النخبة المثقفة في العالم الإسلامي لحماية قلعة الثقافة العربية الإسلامية من غزو مثل هذه المفاهيم التي يحاول أصحابها تقديمها في ثوب العلمية والموضوعية.

¹ أنظر كتابه، العمل الديني وتجديد العقل، ط2، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1997م، ص 103، 104، 105

² أنجلمان كارلسون، الإسلام وأوروبا، تعايش أنم مجابهة؟، م، س، ص 14.

³ م، س، ص، ص 120، 127.

⁴ راجع مثلا دراسة أسماء بوعنان، ((صورة الاسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي عوامل التشكيل وسبل التغيير))، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع. 47، جوام 2017م، ص 280، 281.

خاتمة:

تشكل دراسة أفكار النخبة الغربية التي تتمحور اهتماماتها حول الدراسات الإسلامية، وخاصة النخبة المؤثرة في صانع القرار الغربي، أهمية كبرى للباحث المسلم، ولا ريب أن هؤلاء لا يتخذون قراراتهم فيما يتعلق بالعالم الإسلامي دون الرجوع إلى المتخصصين من مفكرين وخبراء، ففي المجتمعات الغربية المتقدمة يمكننا ملاحظة الارتباط بين المفكر (صاحب الرؤية والتنظير) والسياسي (صاحب آليات التطبيق والتنفيذ)، ولاشك أن المفكر الفرنسي (أوليفيه روا) يعتبر من أهم المتخصصين في هذا المجال، كما يؤكد ذلك الانتشار الكبير الذي تعرفه كتاباته حول الحركات الإسلامية، في إطار ما يسميه علم الإسلام (Islamologie).

نحن مطالبون اليوم بالاطلاع ودراسة ما كتبه هؤلاء من خلال طرح مقاربات علمية موضوعية لأفكارهم، ومنها تحليل المفاهيم التي بنوا عليها أفكارهم وتوجهاتهم المتحيزة للزعة الاستعمارية التاريخية، نظرا لأهمية الوعي المفاهيمي في التوجيه الفكري الذي يدخل في مجال الصراع الفكري المعاصر.

لعل من أهم المصطلحات التي تروج في كتابات (أوليفيه روا) مصطلح (الإسلاموية-L'islamisme)، الذي يربطه بالحركات الإسلامية ذات التوجيه السياسي في التغيير، من جهة وظاهرة العلمانية (laïcité) التي يدعو إليها هذا المفكر الفرنسي، من جهة أخرى، ومن هنا ظهرت بوادر التحيز التي ارتبطت بها استخداماته لهذه المفاهيم، التي حاول من خلالها طرح مشروع إسلام أوروبي يتعوّض كلفة العلمانية بصيغتها الفرنسية، قياسا على ما حدث تاريخيا في تغيير العلاقة بين المسيحية والسلطة في الغرب منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر، بعد صراع طويل بين الكنيسة ورجال العلم، دون اعتبار للفروق بين الإسلام والمسيحية ومواقفهما من العقلانية والعلموية (بكسر العين)، وبين الظروف التاريخية لكل منهما... ومن هنا وجب تحديد المفاهيم التي يعتمد عليها هذا المفكر الذي يمكن اعتباره من المفكرين الغربيين المعاصرين الذين يطرحون من الأفكار التي تثير العقل وتحفز دراستها والرد عليها... وهو ما يدخل في إطار الصراع الفكري، الذي تشكل معركة المفاهيم أهم جبهاته. لا يمكن فصل الإسلام كدين شامل عن السياسة بما يحمله مشروعه الإصلاحي للتغيير، ولا يمكن قياسه على المسيحية وحمله على تغيير بنيته لتوائم متطلبات

العلمانية، لأن مفهوم (الإسلاموية-L'islamisme) الذي يطلقه أوليفييه روا، يصبُّ في دعم مشروعه الفكري المتحيّز بهدف (علمنة الإسلام) نفسه، بما يطرح مفهوما مقابلا، لا يقل تطرفا، وهو مفهوم (العلمانية-laïcisme)، الذي يخفي دعوة تلجُّ على فصل الإسلام، كعقيدة وتشريع، عن ثقافة المجتمع، وهو ما يتناقض مع البنية التكوينية للإسلام، والدعوة لتبنيه تخفي دعوة للانسلاخ عن الإسلام ذاته.

والله الموفق والمستعان.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أوليفيه روا، الإسلام والعلمانية، ترجمة صالح الأشمر، ط1، بيروت، دار الساقى، 2016م.
2. أوليفيه روا، عولة الإسلام، ترجمة لارا معلوف، ط2، بيروت: دار الساقى، 2016م.
3. أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروّة، ط2، بيروت: دار الساقى، 1996م.
4. أوليفيه روا، نحو إسلام أوروبي، تعريب خليل أحمد خليل، ط1، بيروت/ دار المعارف الحكيمة، ط1، 2010م.
5. أوليفيه روا، الجهل المقدس، زمن دين بلا ثقافة، ط1، ترجمة صالح الأشمر، بيروت: دار الساقى، 2012م.
6. إريك جوفروا، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة هاشم صالح، مراجعة أسامة نبيل، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2016م.
7. أنجمان كارلسون، الإسلام وأوروبا، تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتاي، ط1، القاهرة: مكتبة الشرق الأوسط الدولية، 2003م.
8. أسماء بوعنان، ((صورة الإسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي عوامل التشكيل وسبل التغيير))، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، عدد 47، جوام 2017م.
9. برتراند بادى، ودومينيك فيدال، من يحكم العالم، أوضاع العالم في 2017م، ترجمة نصير مروّة، ط1، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2016.
10. جيل كيبيل، النبي وفرعون، ترجمة أحمد خضر، القاهرة: مكتبة مدبولي، د، ط1، 1409هـ-198م.
11. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، ط2، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1997م.
12. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، الجزائر، ودمشق: دار الفكر 1406هـ/1986م.
13. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، الجزائر ودمشق: دار الفكر 1404هـ/1984م.
14. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ط1، مصر: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1975 م.
15. منى عوض، مقال ((هكذا حاکمت أسطورة ملايين الهولوكوست، روجيه جارودي)) من موقع: <https://www.ida2at.com/so-tried-legend-million-holocaust-roger-jaroudi/>